

مشكلة القهاوى

في البلد نوعان من المدارس ، أحدهما للصغار ، والآخر للكبار .

أنشئ الأول لتهديب وتثقيف طلابه ، وأعد الثاني لتسلية وثأمية رواده .

فأما الأول فهو "المدرسة" بالمعنى المألوف واما الثاني فهو "القهوة" القهوة التي شاعت وتفشيت في هذا العصر تفشيا ذريعا يدعو الى العناية بأمرها ، والنظر في أثرها .

وقد انبرى المصلحون للاهتمام بأمر "المدرسة" فوسموا لها المناهج ووضعوا لها البرامج وما يزالون دائبين عاملين على السير بها من إصلاح الى إصلاح ، ملحين عليها بالبحث والدراسة والاستقصاء ، على حين حرمت المدرسة الثانية وأعنى القهوة ممن يعنى بأمرها ، وينظر في نفاقم خطرها .

وقد خطر لى أن أكتب دراسة عن "مشكلة القهاوى" راجيا أن يمتبرها المصلحون — مهيذا وبداءة ودافعا لهم على النظر في أمر "القهوة" والعناية به .

وليكن شفيعى في الكلام عن "القهاوى" أنى "قهوى" أعرف أكثر من غيرى ما للقهوة من خطر وما لها من أثر على الصحة والعقل والجيب ، وعلى الأسرة والوطن ، فقد لمست ذلك عن كشب ، وكل ميسر لما خلق له .

م

تنافس القهاوى تنافسا عظيما في ابتكار وسائل التسلية فهى لى تفوز بثنة روادها وتضمن ترددهم عليها لا تجذل عليهم بكل ما من شأنه تلهيتهم عن الوقت ومعاونتهم على تضييعه فمن راديو — وراديو القهوة بروحين ، واحدة لنقل الاذاعة وأخرى لاسطوانات خاصة بالقهوة — الى فنون أخرى عديدة مختلفة من أدوات اللعب ، كالتاولة والدومينو ، والشطرنج والورق ، . . . الخ — وأفضل القهاوى لدى السامرين ما حازت قصب السبق في هذا المضمار وليس ثم اعتراض على تفنن "القهوة" في مساعدة السمار على ترجية فراغهم لو كان الأمر أمر فراغ بالمعنى المألوف ولكنها طريقة واحدة لا تتغير ، وطاحونة لا تنى ولا تفتت عن الدوران ، آناه الليل وأطراف النهار ، فنى أية ساعة تسمع اللوعة والعتاب والأئين وتشهد حلقات اللعب عامرة باللعبين ، فهذا طالب كان ينبغى أن يكون في معهده أغوته القهوة بفلس ينصت الى أناث المغنين ، وذلك عامل ألهاه عن عمله إغواء اللعب له بالتفرج أو المشاركة ، وآخر كان أولى به أن يلج في طلب العمل والبحث عنه ولكنه يؤثر الجلوس

على افريز القهوة كأنما على العمل أن يبحث عنه ويحضر اليه ، وهكذا يمر الوقت وينساب كالماء دون أن يفتن اليه أو يقوى أحد على صده ، فالقهوة حين تيسر لرائدها ضياع الوقت تزعم ويزعم أنها أحسنت اليه مع أنها جلبته أعز شيء في الحياة ؛ وهل أعز من الوقت؟ فيه تكن الفرص ، وبه يحقق الانسان ما يشاء أو ما يستطيع - تستطيع الجهود أو الحظوظ أو الاقدار أن تعوض الانسان ما فقدته ولكنها جميعا تقعد عاجزة عن أن ترد اليه ثانية واحدة من الوقت ، فأى شيء أعز من هذا الذي اذا فقد لا يرد ولا يعوض ؟ والوقت ببقاى المسائل الكبرى مثل الشمس والهواء والماء جعلها الله اشتراكية ينعم بها الجميع فكما أن الشمس تاقى أشعتها على القصر الشاهق اذا هي في نفس الوقت تعانق الكوخ الحقيقير .

كذلك الوقت ، ساعة المتأهب المجد هي ساعة المنكش الكسول ولكن الأول يدرك خطرها فلا يدعها تزدون أن يفيد من دقائقها وثوانها ، بينما الثانى يستصرخ الخدق اينسنى له بعثرها ، ومن ثم كان فلان الجليل ، وفلان الدليل .

ورب معترض يقول وماذا يعمل المتعطل ان لم يجلس في القهوة ؟ ولكن أقول له من الخير أن يكون لهذا المتعطل فرصة يفكر فيها في حاله وفي ظروفه وفي نفسه .

أما أن يتوارى عن الانظار ويقعد في القهوة التي تاهيه وتسليه وتمون عليه الامر فهذا من العبث بمكان . وجناية القهوة عليه لا تقل عن جنايتها على الطالب أو العامل بمجال . أما جناية القهوة على الصحة فواضحة وليست بحاجة الى تدليل فلولم تكن "الذهاوى" بهذه الكثرة وعلى هذا النحو من الاغراء لكان في الرياضة غنى السامرين عنها ولتفضوا بعض الوقت في ممارسة الالعاب الرياضية ولربح الوطن من وراء ذلك أجساما نزية قوية يعتمد عليها في حماية الذمار ، ويفخر بها عند مقارنة الرجال بالرجال ، وندع الرياضة وننظر في أمر هذا المسكين الذى يتبع الساعات على كرسية داخل "القهوة" يتنفس هواها المزوج بدخان الشيشة واللقائف . هذا فضلا عما يمازجه ويعيش به من ميكروبات الامراض المختلفة والعلل المتباينة .

وهكذا تؤثر القهوة على المرء فيعثر وقته وهو رأس ماله ونهك صحته وهي عماده ، ثم تسمى الى عقله ، ولست أقصد الاشارة الى ماتحدثه ضوضاؤها فحسب واكنى أشير الى هذا الجيش العرمرم من الاميين الذين كانت أولى بهم مدارس ليلية تعالج إطلاقهم من أسر الجهل ، ثم الى هذا العدد العظيم من أنصاف وارباع المتعلمين الذين تصدمهم "القهوة" عن محاولة استكمال ما ينتقصهم لأنهم لا يجدون الوقت الذى يتسع لذلك ، أو بعبارة أخرى لأنهم لا يجدون الفرصة التى يتنبهون فيها الى ما يكتفهم من ظلام ، فالقهوة تتلفهم من البيت ليهوا في جوفها ثم تردهم تانيا الى البيت ليناموا وهكذا على التوالي .

وينبغي ألا تغفل أمر الكثيرين إن الذين ينفقون يوماً بضعة قروش في القهوة على حين هم في أشد الحاجة إليها فهاته القروش تكفي لأن تظهرهم بمظهر حسن أو تنفي بنفقات تعليم ابن لم أو تضاف إلى ثمن الطعام فتجعله أكثر غذاء وأحسن طعماً فإن لم يكن شيء من هذا فقد تتجمع منها ثروة لا بأس بها .

أقول ذلك لأنى أعرف أن لنفقات القهوة عند الطبقات الفقيرة ميزانية خاصة من الخير لو تخصص للشؤون الأخرى .

وننقل إلى خطر القهوة على "البيت" وهو من أشد الأخطار عصفاً بالأسرة والأخلاق فالقهوة تقيم من نفسها حاجزاً أو هوة بين الرجل وبيته ، تأخذه من البيت عند تيقظه فلا توده إليه إلا عند احتياجه إلى النوم ، وما أكثر هؤلاء الذين لا يعرفون الطريق إلى بيوتهم إلا إذا أشار جندي البوليس بوجود ذلك .

وهكذا تحرم الأسرة من السمر مع عائلها فتحرم بذلك من البهجة والفرحة وتحرم مما هو أكرم من ذلك ، تحرم من نظر الرجل لمختلف شئونها فببت في هذه الشؤون ارتجالاً دون درس وتحيص ، وأين هي تلك الفرصة التي تمكنه من ذلك وهو لا يرجع إلى بيته إلا موهن الأعصاب محطم الكيان ، لا يفكر إلا في النوم والراحة .

ومن ثم كانت القهوة الفيصل بين الرجل والمرأة فلا تقاليدنا تبيح للراة الاختلاف إليها ولا هي تدع الرجل لأسرته ، فلو لم تكن القهوة لعنى الرجل بيته وهياً له وسائل التسايلة التي تلائمه ولسمر مع أسرته ، وبذلك تتاح لبيوتنا الفرحة المفقودة ونظفر بالنعيم الضائع ، وينشأ من ذلك الذائف ، فيرشد الرجل المرأة ، وتنصح هى له ، ويشعر أولادنا بجو العائلة وما يكن ويشيع به من هناء وصفاء .

هذا هو الداء...

أما العلاج فله وسيلتان :

الأولى هيئة لجنة تتمشى مع الديمقراطية ومع مانبى ونسمى إليه من ارشاد واصلاح، وهى أن نكثر من الاندية الرياضية مع تيسير الالتحاق بها وجعلها فى تناول كل شخص ، وكذلك تعنى وزارة الشؤون الاجتماعية بالاشتراك مع وزارة المعارف والجمعيات الخيرية بانشاء المدارس اليلية ، بعضها لتعليم المبتدئين والآخر لتزويد وترقية المتعلمين ، هذا مع الدعاية اللازمة لترغيب الجمهور فى النصفه والرياضة ، فان أجدت هذه الوسيلة عملنا بها، وان لم يثبت نفعها فليس من بأس علينا من استبدال الشدة باللين ، والقسوة التى يعقبا الخير أفع من اللين الذى ينطوى على الشر .

ماينا أن نلجا الى سن قانون يقضى بمنع الجلوس فى القهاوى الا فى ساعات معينة فى الليل
أوفى أيام المواسم والأعياد أى فى اوقات الفراغ بالمعنى الصحيح . ولأن يحرم الناس بعض
ملاذهم ويقسروا على ذلك خير الف مرة من تركهم يتخبطون فى دياجير الجهل معرضين
لنوائب الأمراض الجسمية والحلقية .

ولكن لنا أسوة فى نهج بعض الامم فى هذا الشأن ، فقد علمت أن أمما فى مقدمتها
بريطانيا لاتعرف ” القهاوى “ على النحو الشائع عندنا .

صحيح أن هناك قهاوى ولكنها معدة لتناول الشاى فقط لا للجلوس وتضييع الوقت ،
هناك يدخل الرجل ليشرب ما يشتهى ثم يسارع بالذهاب الى شأنه ، حتى أن أكثر القهاوى
ليست بها مقاعد ، وما حاجة المرء للمعد وهو يرضن بوقته ولا يسمح للقهوة أن تستنزف
منه أكثر مما يحتاجه شرب الشاى أو القهوة .

لنقدم فى ذلك ما دمنا نمن فى تقليدهم فى كل شئ فهل يستقيم لنا الأمر ويتاح لنا
أن نوجه هذه الجموع الحاشدة التى تضيق بها القهاوى والتى تنفق وقتها عبثا .

أقول هل يتاح لنا رؤيتها وقد استعاضت عن ذلك بالتعليم والرياضة بما يعود عليها
وهل الوطن بالفع والخير ؟

وهل ترد الى بيوتنا بهجتها وأنسها برد الرجل اليها يسمر فيها مع أفراد أسرته .

من يدرى ؟ قل عسى أن يكون قريبا .

عبد المعطى المسيرى

إن الشباب والفراغ والجلدة مفسدة للمرء أى مفسدة